

كتاب نصوص صلوات ليتورجية قديمة

نسخ باهتمام القس شمس الرئاسة أبي البركات بن كبر (+١٣٢٤م)

مؤتمر التراث العربي المسيحي العشرون
كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة
الجمعة والسبت ٢٤، ٢٥ فبراير سنة ٢٠١٢م
الراهب القس أنناسيوس المقاري

السيد رئيس المؤتمر.

الآباء والإخوة، السيدات والسادة، الحضور الكرام.
يشرفني أن أتحديث إليكم لأول مرة في مؤتمر التراث العربي المسيحي في دورته العشرين، ذاكرًا بالفضل والتقدير، العلماء الأفاضل الذين أرسوا قواعد هذا التراث، وأظهروه للنور.

وحديثي إليكم اليوم، هو عن كتاب صلوات طقسية، قديم، جمعت مادته باهتمام القس شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر (+١٣٢٤م)، لم يكن معروفًا في الأوساط العلمية في مصر والعالم، حتى هذا اليوم.

والخص حديثي في بندين أساسيين:

أولاً: ما يُعرف عن مؤلفات القس شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر

ثانياً: كتاب "المجموع المبارك" الذي اهتم ابن كبر بتجميع مادته.

(أ) محتوياته.

(ب) القيمة العلمية له.

أولاً: ما يُعرف عن مؤلفات القس شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر

تعرف الدوائر العلمية حتى هذا اليوم، أن القس أبو البركات بن كبر (+١٣٢٤م) قد ألف ثلاثة كتب^(١)

الكتاب الأول: "مجموع خطب ومرات". وهي عدد ٥٧ خطبة ومرثية.

الكتاب الثاني: "السلم الكبير المقترح". وهو معجم قبطي بحيري/عربي. ويُعرف أيضاً باسم "السلم الكبير".

الكتاب الثالث: "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة". وهو دائرة معارف كنسية عقائدية طقسية.

ويُظن أن ابن كبر قد قام بتأليف هذا الكتاب الأخير بعد انزاله عن الحياة العامة بدءاً من سنة ١٣٢١م، إثر الاضطهاد الكبير الذي وقع على نصارى مصر في هذا الوقت^(٢).

وأقدم مخطوط معروف لهذا الكتاب حتى الآن هو برقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلية بباريس. وهو منسوخ في

١- أضاف الأب لويس شيخو على هذه المؤلفات، ثلاثة مؤلفات أخرى له ص (١٨، ١٩) من كتابه "المخطوطات العربية لكنتبة النصارى": هي:

- "جلاء العقول في علم الأصول، الملقب بكشف الأسرار الخفية".

- "البيان الأظهر على من يقول بالقضاء والقدر".

- "الردود على اليهود والمسلمين".

ولكنها ترجع إلى الرشيدي أبي الخير بن الطيب، والتي ألفها في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

Cf. Graf G., *Geschichte*, II, p. 344-348.

٢- الأب سمير خليل اليسوعي، مقدّمة الجزء الأول من كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، مكتبة الكاروز، ١٩٧١م، ص و

حبرية الأنبا يؤانس العاشر، البطريرك الخامس والثمانين (١٣٦٣ - ١٣٦٩ م). وينقص منه جانب كبير من طقس البصخة المقدسة.

ويعوض هذا النقص - إلى حد ما - مخطوط رقم (شرفيات ٤٨٦ / ترقيم قدم Vet. 12). بمكتبة جامعة أوبسالا Uppsala (السويد). وتاريخه هو ٤ أمشير سنة ١٢٦٣ ش / ١٥٤٦ ميلادية. وهي نسخة منقولة عن نسخة تاريخها ٢٧ برمهاث سنة ١٠٧٣ شهداء، (١٣٥٧ ميلادية). أي أن أصل هذه النسخة أقدم قليلاً من نسخة باريس، بحوالي عشر سنوات. وهذه النسخة تقدم أحياناً نصاً مختلفاً عن نص مخطوط باريس، كما يعلن الناسخ أيضاً في ورقة ٢٥٨ وجه) أنه ترك بعض أجزاء من النسخة التي ينقل عنها^(٣).

ثانياً: كتاب "المجموع المبارك" الذي اعتنى ابن كبر بجمع مادته

لقد عثرتُ في يوم ٢١ يناير سنة ٢٠١٢ م على مخطوط برقم (قبطي ١١٢) (بورجيا). بمكتبة الفاتيكان (١٩٣ ورقة)^(٤)، اهتم به شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر، وتاريخ نساخته كما ورد في ورقة (١٧٣ ج) هو ١٠٢٤ شهداء / ١٣٠٨ م. وهذا الكتاب يُسمى "المجموع المبارك"، نظراً لاحتوائه على نصوص صلوات طقسية كثيرة في موضوعات شتى.

فقرأ في ورقة (١٧٣ ج) ما يلي (بنصّه):

"اهتم بهذا الكتاب 'المجموع المبارك' الارخن الرئيس الطوباني القديس الدين الارتدكسي الحب في المسيح الولي الأجل شمس الرياسة بن الشيخ الرئيس المحترم الاسعد بن كبر، ادام الله سموه، وحقق بالخيرات مرجوه، وكضم بالذل حاسده وعدوه، وبسط في كل عمل صالح آماله، وجعل الى مظال النور مآله، وتقبل صومه وصلاته وصدقته وابتهاله، بشفاعة كل الدين (الذين) ارضوه ويرضوه امين. وكان الفراغ منه في سنة الف واربعه وعشرين للشهدا الاطهار رزقنا الله شفاعتهم امين".

ومن ثم، فالمخطوط الذي يحوي هذا الكتاب الطقسي، يختص بشمس الرئاسة أبو البركات بن كبر (+١٣٢٤ م)^(٥). وهو منسوخ سنة ١٣٠٨ م، أي قبل نياحة ابن كبر بست عشرة سنة، وبعد رسامته كاهناً على كنيسة العذراء المعلقة بثماني سنوات. وعلى ذلك، فكتاب "المجموع المبارك"، قد نُسخ قبل كتاب ابن كبر الشهير "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" بحوالي اثني عشرة سنة. كما أن المخطوط الذي يحويه هذا "المجموع المبارك"، هو أقدم من أقدم مخطوط معروف لكتاب "مصباح الظلمة" بحوالي خمسين سنة.

والمخطوط الذي يحوي هذا الكتاب الطقسي القديم، لم يسبق لأحد من المهتمين بدراسة التراث العربي المسيحي، أن أشار إليه من قبل. وعلى سبيل المثال لا الحصر:

• لم يذكره الأب جورج جراف G. Graf في كتابه "تاريخ الأدب العربي المسيحي"^(٦)، ولم يُشر إليه أيضاً في مقالاته التي نشرها بالألمانية عن ابن كبر وكتابات، في مجلة الشرق المسيحي (Oriens Christianus) سنة

٣ - الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤، دراسات مسيحية شرقية، ٢٠٠١ م، ص ٢٤٤، ٢٤٥

٤ - به ورقة مفقودة بعد ورقة (٣٧ ظ) وهي نهاية لقان عيد الغطاس. وبعض ورقات أخرى بعد ورقة (٤٥ ظ)، وهي جزء من قُداس لقان خميس العهد.

٥ - كان والده، الشيخ الأكمل الأسعد، رجلاً ذا مال وجاه، إذ كان يملك داراً فسيحة في مصر العتيقة، في درب يُسمى باسمه "درب ابن كبر"، حيث كان أكابر القوم، من قضاة ووزراء ورؤساء طوائف، يعيشون وقتئذ.

6. Georg Graf (Von), *Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur (GCAL)*, Erster Band-Fünfter Band, Città del Vaticano, 1944, 1947, 1949, 1951, 1953.

- ١٩٣٣م، والتي تصدر في لايبزج Leipzig بألمانيا منذ سنة ١٩٠١م^(٧).
- ولم يعرفه أيضاً الدكتور بورمستر O.H.E. Burmester المعروف بأبحاثه الكثيرة في الطقوس القبطية، ولا سيما أسبوع البصخة المقدسة.
 - كما لم يرد ذكره أيضاً في فهرس المخطوطات القبطية لمكتبة الفاتيكان، والذي عمله كل من العالمين، أديلفس هيبيلينك، وأرنولدس لانشوت سنة ١٩٣٧م^(٨). حيث يتوقف هذا الفهرس عند المخطوط رقم (قبطي ١٠٨) بهذه المكتبة.

(أ) محتويات كتاب "المجموع المبارك"

يحتوي هذا "المجموع المبارك" على العناصر الليتورجية التالية:

- ترتيب المعمودية (ج١-ج٢٤ظ).
- قانون وضعه معلّم الكنيسة لأجل من يجحد الإيمان أو ينحس جسده مع غير مؤمن، ذكراً أو أنثى (ج٢٥-ج٢٩ظ).
- ترتيب ما يُقرأ في الحادي عشر من طوبه على ماء الأردن (لقان عيد الغطاس) (ج٣٠-ج٣٧ظ).
- ترتيب القصرية في خميس البصخة (لقان خميس العهد) (ج٣٨-ج٤٦ظ).
- قانون وضعه أبونا الأسقف أنبا بطرس أسقف مدينة البهنسا، يُقرأ على القصرية في الخامس من أبيب عيد آباءنا الرسل بطرس وبولس (لقان عيد الرسل) (ج٤٧-ج٥٤ج).
- ترتيب الأملاك، وترتيب قيام الزواج (ج٥٥-ج٦٨ج).
- ما يجب قراءته في الزيجة الثانية (٦٨ظ-٧٠ج).
- الفصول التي تُقرأ في قدّاس العرائس (٧٠ظ-٧٢ظ).
- حظ الإكليل من على رأس العريس في اليوم السابع (٧٢ظ-٧٥ظ).
- ترتيب الطشت مع سابع (يوم من ولادة) الطفل (٧٦ج-٨٠ظ).
- صلاة زيت المرضى التي تُدعى القنديل (٨١ظ-١٠٣ج).
- ترتيب السجدة (في مساء عيد العنصرة، عيد حلول الروح القدس) (١٠٣ظ-١٢٧ظ).
- الفصول التي تُقرأ على الأموات (١٢٨ج-١٦٥ظ).
- الفصول التي تُقرأ على موتى القبور في كمال الأربعين والسنة أشهر وكمال السنة وكل التراحم (١٦٦ج-١٦٩ظ).
- نسخة الفصول التي تُقرأ على القبور في أيام تذكار الأموات وفي رفع الحصر وذلك على (ترتيب) كنيسة حارة زويله (١٦٩ظ-١٧٣ج).
- قولوفون المخطوط (١٧٣ج).
- الفصول التي تُقرأ على النساء الذين يموتون إذا ولدن (١٧٤ج-١٨٥ج).
- الفصول التي تُقرأ عند رفع الحصر وعلى القبور في ليالي التذكارات (١٨٥ظ-١٨٩ج).
- الفصول التي تُقرأ في قدّاس الأموات (١٨٩ظ-١٩٣ظ).

(ب) القيمة العلمية لهذا الكتاب الجديد

- (١) يسدّ كتاب "المجموع المبارك" جانباً من النقص الذي لحق بكتاب "مصباح الظلمة" طبقاً لمخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلية بباريس، بسبب ضياع بعض ورقاته، عن طقس البصخة المقدسة، ولا سيما فيما يختص بلقن خميس العهد.

7. Georg Graf, *Zum Schrifttum des Abu 'l-Barakat und des Abu 'l-Khair*, in *OC* 30, (1933), p. 133-143.

8. Advlphvs Hebbelynck et Arnoldvs Van Lantschoot, *Codices Coptici Vaticani Barberiniani Borgiani Rossiani, tomvs I, Codices Coptici Vaticani*, 1937.

(٢) يؤكّد كتاب ”المجموع المبارك“ أنّ ناسخ ”مخطوط أوبسالو“ الذي يحوي كتاب ”مصباح الظلمة“، لم يكن يلتزم تماماً بالمصدر الذي ينقل عنه، بل كان يضيف إليه أحياناً ما يراه قائماً بالفعل من طقوس الصلوات في زمانه، أي في منتصف القرن السادس عشر. ومن هنا تتضح أهمية هذا الكتاب الطقسي القديم، الذي نحن بصددده الآن.

(٣) تُعدُّ نصوص الصلوات الليتورجية التي يحويها كتاب ”المجموع المبارك“، من بين أقدم النصوص الليتورجية في الكنيسة القبطية، وهو ما يفتح مجالاً واسعاً للدراسات الليتورجية المقارنة، فيما يحويه الكتاب من عناصر ليتورجية.

(٤) يوضح كتاب ”المجموع المبارك“ أنّ الأواشي السبع التي تسبق قُدّاسات اللقّان في الكنيسة القبطية، والحوار الليتورجي بين الكاهن والشعب في مقدّمة هذه القُدّاسات، هي إضافات متأخرة، ليس مكانها قُدّاسات اللقّانات. وهو ما تشهد به معظم المخطوطات الأخرى التي اطلعت عليها.

(٥) يوضح لنا كتاب ”المجموع المبارك“ أنّ كنيسة السيّدة العذراء المعلقة، وهي المقر البطريكي للكنيسة القبطية على مدى قرنين ونصف^(٩) قبل تاريخ المخطوط الذي يحوي هذا الكتاب، كانت تُصلّي لقّان خميس العهد – مع غيرها من الكنائس الأخرى – طبقاً للنص الوارد فيه، وذلك منذ أن عُرف هذا اللقّان في الكنيسة، وحتى أواخر القرن الرابع عشر على أقل تقدير. أمّا ما تُصلّيه عموم الكنائس القبطية اليوم، فهو قُدّاس آخر للقّان خميس العهد، يعود بالتأكيد إلى ما بعد القرن الرابع عشر.

بل إنّ قُدّاس لقّان خميس العهد، كما ورد في هذا ”المجموع المبارك“ باهتمام ابن كبر، ظلّ يُنسخ في مخطوطات تعود لتاريخ متأخر، مثل مخطوط رقم (طقس ٤٩ / سميحه ١٦٢ / جراف ٦٧). بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة. وقد كُمل ترميم هذا الكتاب المبارك في يوم الجمعة ١٨ مسرى سنة ١٦١١ قبطية (الجمعة ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٥م)، وذلك بأمر واعتناء قداسة سيّدنا الأب البطريك أنبا كيرلس الخامس في الأسماء والثاني عشر بعد المائة من عدد بطاركة الإسكندرية (١٨٧٤-١٩٢٧م) ... الخ. وقد أوقفه القمّص بطرس الحرّقاوي على كنيسة السيّدة العذراء مرقمريم بمدينة حلوان مركز ومديرية الجيزة في ٣ مسرى سنة ١٦٣٠ شهداء (الأحد ٩ أغسطس ١٩١٤م).

وما يدعم حقيقة أنّ لقّان خميس العهد كما ورد في كتاب ”المجموع المبارك“ هو القُدّاس الذي ظلّ مستخدماً في الكنيسة القبطية على مدى قرونها المتتابعة في اتصال غير منقطع، هو ما يلي:

• نشر الدكتور بورمستر O.H.E. Burmester في دورية الآباء الشرقيين (Patrologia Orientalis (PO) مقالاً بعنوان ”قطمارس الأسبوع المقدّس“ *Le lectionnaire de la semaine sainte* (١٠)، نشر فيه النص القبطي لمخطوط رقم (إضافي ٥٩٩٧) (٣١٥ ورقة). بمكتبة المتحف البريطاني بلندن، وتاريخه هو ٢٢ توت سنة ٩٩٠ شهداء (الثلاثاء ١٩ سبتمبر ١٢٧٣م)^(١١)، مترجماً إلى الفرنسية. وهو مخطوط يحوي ما يجب قراءته في جمعة البصخة، إلى آخر أحد القيامة^(١٢). وكان الأستاذ يسى عبد المسيح (١٨٩٨-١٩٥٩م) يعتقد أنّ هذا المخطوط هو أقدم نسخة قطمارس للبصخة المقدّسة معروفة في العالم. وهو يحوي طقس لقّان خميس العهد، بنفس نصّ كتاب ”المجموع المبارك“.

٩- وذلك خلال ثلاث سنوات في أواخر القرن العاشر. ومنذ منتصف القرن الحادي عشر تقريباً حتى آخر القرن الثالث عشر.

10- O.H.E. Burmester, *Le lectionnaire de la semaine sainte*, (PO) 24, fas.2, 1933, p. 169-294 ; (PO) 25, fas.2, 1939, p. 175-485.

١١- بحسب ورقة (٣١٥ظ).

Cf. Crum, W.E., M.A., *Catalogue of the Coptic Manuscripts in the British Museum*, London, 1905, p. 514.

١٢- وهذا المخطوط منقول عن النسخة التي وضعها الأنبا غريال بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م)، البطريك السبعون، قبل أن يزيد عليها الأنبا بطرس أسقف البهنسا (من آباء القرن الثالث عشر) الزيادة الباقية إلى الآن.

• لقد نشرت في يناير سنة ٢٠١٠م، مخطوطاً أقدم من مخطوط المتحف البريطاني السابق ذكره، بجوالي تسعين سنة، وهو مخطوط رقم (طقس ٢٦٠) (١٧٣ ورقة). بمكتبة دير القديس أنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، تاريخه هو ١١٨٤م. بجوي نفس نصّ لقان خميس العهد، ضمن صلوات البصخة المقدّسة، ولكن بالعربيّة فقط^(١٣).

• أقدم مخطوطان في مصر لطقس صلوات اللقّان في الكنيسة القبطيّة، بجويان نفس نصّ لقان خميس العهد كما في كتاب ”المجموع المبارك“، ويعودان إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر؛

أولهما مخطوط رقم (طقس ٣٧١ / مسلسل ٧١٧) (١١٨ ورقة). بمكتبة البطريكية القبطيّة بالقاهرة، وهو يرسم خزانة الإيغومانس الأسعد إبراهيم (والد ابن كبر). وتاريخه هو ١٣٥٣م. ولا يعرفه جراف.

وثانيهما هو مخطوط رقم (طقس ٣٥٩ / سميكة ١٤٣ / جراف ١٦٨) (١٣٠ ورقة). بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، وتاريخ نساخته هو ٢٨ أبيب سنة ١٠٨٧ للشهداء (الثلاثاء ٢٢ يوليو ١٣٧١م).

وجدير بالذكر هنا، أن أقدم إشارة عن لقان خميس العهد في الكنيسة القبطيّة تعود إلى القرن السابع الميلادي، في زمن البابا يوحنا الثالث (٦٨٠ - ٦٨٩م)^(١٤) البطريك الـ ٤٠ المعروف بيوحنا السمنودي^(١٥).

الخلاصة:

هكذا فتح أمامنا كتاب ”المجموع المبارك“ لابن كبر، طريقاً للبحث الجاد في مخطوطاتنا المنتشرة في مكتبات مصر والعالم، ولاسيما ما تحويه المكتبة الأسعدية. إذ أن اعتناء ابن كبر بن الأسعد - كعالم طقسي - بجمع مادة كتاب صلوات طقسي، تُضفي عليه قيمة علمية كبيرة، تدعم دراسات التراث العربي المسيحي، ولاسيما في كنيسة مصر.

١٣- وهذا المخطوط بفرق بجوالي أربع عشرة سنة فقط، عن أقدم مخطوط قطماوس للبصخة المقدّسة معروف حتى الآن على مستوى العالم، وهو المحفوظ في المكتبة الوطنية اليونانية بأثينا (اليونان)، برقم (٣٥٥٠)، وتاريخه وقفيته يرجع لسنة ٨٨٦ش/ ١١٧٠م. حيث نقرأ في ورقة (٣٣٨ وجه) ما يلي: ”حبس هذه البصخة على كنيسة القديس أبو بقطر ببركة الحبش سنة ٨٨٦ ش، والآن لماري تادرس بحارة الرّوم بمصر المحروسة“.

انظر: مدحت حلمي تادرس، ”الأبنا بطرس أسقف البهنسا“، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثاني، ص ١٦١ وتقع بركة الحبش جنوب مصر القديمة. وكنيسة أبو بقطر المذكورة، هي كنيسة مندثرة الآن. ويذكر أبو المكارم في كتابه ”تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر الميلادي“، عن كنيسة مار بقطر بأرض الحبش، أنه وجد مكتوباً في شاق هذه البيعة بالقبطي تاريخ تصوير الصّور سنة تسع وخمسين وسبعمئة للشهداء (أي سنة ١٠٤٣م)، في بطريكية أنبا شنوده، وهو الخامس والستين في العدد (وهو البابا شنوده الثاني ١٠٣٢ - ١٠٤٦م)، (والذي جعل في آخرها مذبحين، أحدهما باسم الشهيد أبو قرمان وإخوته ووالدهم، والآخر باسم أبو يحنس الشهيد بسنهوت، ممّا اهتم به فيما بعد) أبو البركات المذكور في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة هجرية (١١٧٧م) ... الخ.

الرّاهب صموئيل السرياني والأساذ نبيه كامل داود، تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر الميلادي، لأبي المكارم، ١٩٨٤م، ص ٧٤
١٤- وهو من دير أنبا مقار. وظل على الكرسي تسع سنوات. ومقره البطريك، هو الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية. ويذكر كتاب ”تاريخ البطركية“ أنه عندما أطلق سراحه من الحبس بواسطة عبد العزيز في يوم خميس العهد، اصطحبه الشعب بالترتيل والغناء حتى دخل إلى البيعة، وصلى على القصرية، وغسل أرجل الشعب، ثم قدّس.

١٥- يبدو أن لقان خميس العهد قد عُرف في كنيسة الإسكندرية كطقس كنسي، قبل أن يُعرف لقان عيد الغطاس فيها، لأنه لا يوجد لدى الأقباط آية وثائق قديمة تشهد بأنهم مارسوا طقس تبريك الماء في عيد الغطاس حتى نهاية القرن السابع الميلادي. وهو ما عرفناه من القديس يعقوب (٦٣٣-٧٠٨) الرّهاوي الذي قضى في الإسكندرية عدّة سنوات.

كما أن البطريك السرياني ميخائيل الكبير كتّب سنة ١١٧١م يقول: ”إن طقس تبريك الماء، قد تأسّس في البداية في أنطاكية، ولكن مراسيمه لم تدوّن بتحديد، سوى في زمن يعقوب الرّهاوي (٦٣٣-٧٠٨م)، ورفيقه جرجس أسقف العرب ... ولم يرد أي ذكر عنه في كنيسة الإسكندرية في مصر حتى اليوم“.